محاضرات الأدب الشعبي المغاربي

لطلبة السنة الثالثة ليسانس–شعبة–دراسات أدبية–

المحاضرة الأولى

الأدب الشعبي المصطلح والمفهوم

1–مفهوم الأدب الشعبي:

يدل مصطلح الأدب الشعبي على التعبيؤر الفني المعتمد على الكلمة وما يمكن مصاحبتها من حركة وإشارة وإيقاع،بهدف التعبير عن الوجدان الجماعي،ضمن حيط جغرافي محدد،او مرحلة تاريخية معينمة من مراحل التاريخ البشري.

ويلاحظ الدارسون،اختلاف دلالة المصطلح من مدرسة فلكلورية إلى مدرسة فلكلورية أخرى.ففي الدول اللاتينية مثلا يدل المصطلح على كل ما يتعلق بالفلكلور،ثم تم تحديد مجال الأدب الشعبي بعد أن تأسس الفلكلور كعلم قائم بذاته،له مناهجه ونظرياته،ورؤاه العلمية الخاصة به.والأدب الشعبي طبعا هو جزء كبير وواسع من المأثورات الشعبية،ولا يعني بالضرورة الأدب العامي،الذي يتوسل باللهجة العامية من أجل التعبير.

2–ماهية الأدب الشعبي المغاربي:

يتمثل الأدب الشعبي المغاربي في تلك النصوص الأدبية الشعبية،الاتي أنتجتها المخيلة الشعبية المغاربية،مستلهمة مضامينها من روافد تاريخية وأدبية ودينية وأسطورية،توارثتها البيئة الاجتماعية للمغرب العربي،من عرب وأمازيغ.

لحيث مثل الأدب الشعبي المغاربي مختلف الطموحات والآمال والآلام والهموم،التي عاشتها شعوب المغرب العربي،فأنتجت نصوصا شعبية إبداعية هي من صميم الحياة الاجتماعية المغاربية تراوحت بين الشعر والنثر.كما أن الأدب الشعبي المغاربي،لا يخضع للتقسيمات السياسية المعروفة،إنما هو كل ما يمت بصلة للذات الشعبية المغاربية،في أعماقها الحضارية والتاريخية.

3–نشأة الأدب الشعبي:

تجدر الإشارة إلى أن نشأة الأدب بشكل عام،كانت شعبية؛فمنذ القدم كانت كل عائلة أو عشيرة أو قبيلة حتى،تتفق على أساليب معينة في التواصل اللغوي تقوم على النداءات والصيحات والأهازيج.تتردد هذه الأساليب التعبيرية أثناء الأعمال البدنية المختلفة كرفع الحجارة لبناء البيوت وتشييد الحصون،أو حفر الخنادق بغرض الحفاظ على القرية من تسربتت مياه الأمطار،أو لتحصينها من هجمات الأعداء.وتردد أهازيج ونداءات أخرى في حملات الصيد أو القتال بغرض رفع العزائم والهمم والمعنويات.وكذلك منها ما يردد أثناء مواسم الحصاد الفلاحية،كمواسم الجني،..وبتشكل الدول

وظهور الطبقات الحاكمة في المجتمعات،بدأ نوع من التمايز بيم ماهو عامي وخاص،وتميز الأدب فيما بينه رغم توحده بلغة واحدة وضمن دولة واحدة.وقد ازداد هذا التمايز أكثر نتيجة ظهور أسر حاكمة لها لغتها الخاصة المميزة،والتي تمكنت من إخضاع مختلف المدن والقبائل ذات اللغات واللهجات المختلفة.

ضمن هذه التطورات ولدت الكثير من الحكايات والأساطير،والأمثال الشعبية،والألغاز،والتراتيل،والأهازيج،والنداءات،والصيحات،والأقوال السائرة،و الرقى،لإبعاد الأذى مهما كان نوعه.كما ظهر ادب يمجد الآلهة وبعض الطقوس الدينية،وكانت المعابد ميدانا له،وهناك أدب بصفة رسمية للخاصة من الناس.كما ظهرت أشكال تعبيرية لها صلة مطلقة بالتعبير عن حال الفقراء والمظلومين من الناس ومعاناتهم.

والأدب الشعبي في هذه الحال،هو أدب أجيال متعددة من البشر،لا يكون حكرا على فئة معينة،أو ملكا لطائفة ما،أو لمجتمع دون الآخر.الأدب الشعبي أدب ملك للإنسانية جميعا،له صلة وثيقة بحياة الإنسان اليومية.يبرز حالات السعادة والحزن،ويعبر عن حال الطبقات الاجتماعية من غنى وفقر،وله علاقة وطيدة بحياة الناس والمجتمعات ضمن الأطر الواقعية والبعيدة عن عالم المثل.

4-مميزات الأدب الشعبي:

هناك ميزات أساسية وجوهرية للأدب الشعبي بشكل عام،مهما احتلفت بيئاته الجغرافية،هي:

-مجهولية المؤلف.

-النقل الشفوي.

-الانتشار والتداول.

-التعبير عن وجدان الذات الجماعية.

-اللغة أو اللهجة العامية.

-الدافع الروحي الجماعي.

المحاضرة الثانية

علاقة الأدب الشعبي بالفلكلور

1-الفلكلور:

الفلكلور Folklore مصطلح أجنبي،له أصلان لاتينيان هما:Folk بمعنى الناس،Lore بمعنى الحكمة أو المعرفة.وكانت أولى محاولات تحديد المصطلح مع الباحث"وليم جون تومز"،/الذي أنجز بحوثا عديدة بهدف تحديد مصطلح فلكلور سنة 1846م،كما وضح ذلك"يوري سوكولوف" في بعض بحوثه المتخصصة.حيث ذكر أن ترجمة المصطلح كما حدده"تومز" باللغة الإنجليزية،تعني"حكمة الشعب أو المعرفة الشعبية"،وذلك للحديث عن ماضي وواقع المجتمعات البشرية.

2-تصنيف الفلكلور وعلاقته بالأدب الشعبي:

يشمل الفلكلور الذي هو الثقافة غير العلمية،الميادين الآتية:

-العادات والتقاليد وأسس المعاملات.

-المعارف والأفكار والمنقولات العقلية.

-الدين والمعتقدات والطقوس والشعائر.

-الفنون التطبيقية والعملية،كالطب ومختلف الصناعات والأشغال اليدوية.

-الفنون الجميلة،سواء كانت بصرية أم سمعية.

-السلوكات الاجتماعية الإنسانية،سواء كانت خاصة أو عامة.

-الأنظمة الاجتماعية،كأنظمة التعليم القضاء،والتضامن الاجتماعي،...

-طبيعة المساكن والأبنية والأدوات المستعملة في الحياة المعيشية.

-مصادر الدخل وكيفيات استغلالها.

-طرق الترويح وتزجية أوقات الفراغ والرياضة.

ويعطي "محمد الجوهري" تقسيمات للفلكلور في علاقته بالأدب الشعبي،بعد دراسة مستفيضة ومقارنة بين مختلف الطروحات والنظريات الأكاديمية العالمية:

-الفلكلور هو التراث الشفوي،حيث يرادف بذلك مصطلح الأدب الشعبي،أو على الأقل التراث المتداول شفاهة.

-يدرس الفلكلور التراث الشعبي في المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ.

-علم الفلكلور هو دراسة للتراث الشعبي،دراسة عميقة وشاملة ومقارنة.

وبحكم أن الفلكلور يدرس الثقافية الشعبية التقليدية،من حيث توارثها عبر الأجيال،إذ يتأسس بذبك كعلم قائم بذاته،فميدان الدراسة في الفلكلور تنقسم إلى أربعة أقسام هي:

-المعتقدات والمعارف الشعبية.

-العادات والتقاليد الشعبية.

-الأدب الشعبي.

-الثقافة المادية والفنون الشعبية.

هذه أهم مجالات الفلكلور التي يعد الأدب الشعبي واحدا من مكوناتها،لذلك فالفلكلور أعم من الأدب الشعبي.أما علم الفلكلور فيختلف عن مصطلح الفلكلور،الذي يتأسس كفرع من فروع المعرفة الإنسانية،والذي يهتم بدراسة المأثورات الشعبية أو الفلكلورية من زاوية تختلف عن الزاوية التي ينظر إليها علم الأنثربولوجية أو علم الإثنولوجية،...

المحاضرة الثالثة

تصنيفات الأدب الشعبي

أهم ما يميز نصوص الأدب الشعبي هي الوفرة الهائلة والكبيرة،الشئ الذي يتعامل معها وفهم خصائصها أمرا صعبا للغاية.لذا يتوجب تقسيمها إلى فروع فنية وأصناف.وقد سعى المتخصصون في الأدب الشعبي بمجهودات متواصلة إلى إتمام العملية التصنيفية وفق أسس علمية ومنهجية،مراعين بذلك الخصائص الفنية لنصوص الأدب الشعبي،لاسيما المشتركة منها.

1-تصنيفات الأدب الشعبي:

تباينت الاتجاهات واختلفت في تحديد أصناف الأدب الشعبي،حيث ظهرت مع أواخر القرن الماضي تصنيفات منهجية،يمكن ذكر بعض منها:

-تصنيف نبيلة إبراهيم:قدمت نبيلة إبراهيم تصنيفا هاما لأبرز الأنواع الأدبية الشعبية وهي:الأسطورة،الحكاية الخرافية،الحكاية الشعبية،المثل،اللغز،النكتة،الأغنية الشعبية.مع تسجيل نقص بعض الأنواع التعبيرية الأخرى،بحسب رأي محمد الجوهري،مثل:السيرة الشعبية،النداءات،الأعمال الدرامية الشعبية.

-تصنيف مصطفى جاد:في منظور الباحث مصطفى جاد،تصنف أنواع التعبير في الأدب الشعبي كالآتي:الأساطير،الحكايات،السير الشعبية،الملاحم الشعبية،الشعر الشعبي،الأغاني الشعبية،الأمثال،الألغاز،الفكاهة،التعابير والأقوال السائرة،نداءات الباعة،المعضلات اللسانية(المبارزات اللسانية)،الرقى والتعاويذ.

2-تصنيفات الحكاية الشعبية:

توجد صعوبات هامة جدا في تصنيف الحكاية الشعبية أو القصص الشعبي،وهذا يعود لدواعي منهجية تتمثل أساسا في اختلاف الدارسين عبر سائر أنحاء العالم في تحديد المبادئ التي يمكن اعتمادها في عملية التصنيف.إلى جانب طبيعة القصص الشعبي التي غالبا ما تنبع من تاريخ المجتمعات وطبيعة تطور هذه المجتمعات الإنسانية.ومجتمعات المغرب العربي لا تشذ عن هذه القاعدة.

-تصنيف Anty Aarny:ويعد هذا التصنيف للباحث الفنلندي أهم تصنيف للحكاية الشعبية،وذلك في كتابه الشهير والهام"فهرست أنماط أو طرز الحكايات الشعبية"The Type Index Of Folknles،والذي نشر سنة 1910م،والذي ترجم إلى اللغة الإنجليزية من لدن الباحث الأمريكي طومسون ستيت Thompson Stith،ليقوم بمراجعته مرتين حيث أضاف في المراجعة الثانية التي نشرت سنة 1961م،ملخصا لما يزيد عن ألفي حكاية شعبية هندو أوروبية.لكن التصنيف العام من لدن الباحث أنتي آرني،كان كالآتي:حكايات الحيوانات،الحكايات الخرافية،الحكايات

الدينية،الحكايات الخيالية،حكايات اللصوص وقطاع الطرق،،حكايات العفاريت والجان،نكت وحكايات هزلية،حكايات الرهبان،حكايات الأكاذيب،حكايات المغامرات،حكايات الحيل والخداع،حكايات غير مصنفة.

-تصنيف عبد الحميد يونس:يصنف الباحث عبد الحميد يونس الحكاية الشعبية،بحسب الشخصيات والجانب الاجتماعي،وكذا الجانب الوظيفي.فكان تصنيفه كالآتي:حكايات الحيوان،حكايات الجان،السيرة الشعبية،حكايات الشطار،الحكاية المرحة،الحكايات الاجتماعية،حكايات الألغاز،حكايات الأمثال.

-تصنيف نبيلة إبراهيم:تقسم نبيلة إبراهيم الحكيا الشعبية إلى الأصناف الآتية:حكاية الواقع الأخلاقي،حكاية الواقع الاجتماعي،حكاية الواقع السياسي،حكايات عن موقف الإنسان الشعبي من العالم الغيبي،حكايات المعتقدات،الحكايات الهزلية.وقد تميز هذا التصنيف بالبعد الواقعي لهذه الأنواع من الحكايات.

-تصنيف مصطفى يعلى:من منظوره يعتمد القصص الشعبي المغاربي في حال جمعه على التبويب ضمن فئات محددة،تمكن العملية من حصر مفرداته الاصطلاحية ومفاهيمه التحديدية،بحسب استيعاب مكوناته الإجناسية.وفيما يلي هذا التقسيم:الحكاية العجيبة،الحكاية الشعبية،الحكاية الخرافية،الحكاية المرحة.هذا التقسيم الإجناسي باستطاعته تمييز أنواع القصص الشعبي جماليا ودلاليا،كما سيساعد على إعادة جمع القصص الشعبي المغاربي،في إطار منهجي منظم.

-تصنيف محمد سعيدي:من منظور محمد سعيدي تقسم أنواع الحكاية الشعبية إلى:الحكاية اللغزية،الحكاية المثلية،النكتة،الحكاية الشعرية،الحكاية الخرافية.

-تصنيف عبد الحميد بورايو:يعتمد الأستاذ عبد الحميد بورايو التقسيم الآتي،في تحديد أنواع القصة الشعبية:قصص البطولة،كقصص البطولة البدوية،والمغازي،وقصص الأولياء،وقصص الزهاد،قصص الخارجين عن القانون،قصص الثوار.الحكاية الخرافية،كالحكاية الخرافية الخالصة وحكتاية الأغوال الغيبية.والحكايات الشعبية،كحكاية الواقع الاجتماعي،والحكايات المحلية،وحكايات الحيوانات،والنوادر.

ومهما كانت طبيعة هذه التصنيفات،فهناك صعوبات منهجية تعتريها نجملها في:

-التصنيف العالمي له خصوصيته التي أنتجته،حيث أنه لا يجد تطابقا مع البحوث الأجنبية التي درست منطقة المغرب العربي خلال الفترة الاستعمارية،وهذا نتيجة الاختلافات الاجتماعية والواقعية والتاريخية وكذا الدينية.

-ضعف وغياب أحيانا التصنيف العربي المنهجي،وهذا نتيجة عدم الإحاطة بالذخيرة العربية المتعلقة أساسا بالتراث الشعبي بمختلف أنواعه.

-التنوع الهائل للحكاية الشعبية التي تستوعب ضمن النموذج الواحد،عدة نماذج جزئية وتصنيفات.

-الميولات الفردية والشخصية وكذا الذاتية،التي تميز طروحات الباحثين المختصين؛فقد يختار الباحث أحيانا تسميات وأصنافا يتوسع فيها،وقد يختصر أصنافا أخرى من الحكاية الشعبية.